



كلمة د. فوزي عطوي (مُمثلاً وزير الثقافة الدكتور غسان سلامة) في "يوم جودت حيدر"

(قصر الأونسكو - الخميس ٦ حزيران ٢٠٠٢)

عرفتك عبر اندياح عطرك، وعبر انسراح شعرك، وعبر افرار البهيّ النديّ من مآثر ذكرك، كما تنسّمت أشداء ثقافتك، واستروحت الشمم من ثراء لغاتك، وتلمست الشمول الرائع في تعدد اختصاصاتك، وراكبت مساواة معاناتك في وطنك وفي جهات الأرض الأربع، لكن كل هذا لم يحجب عن خاطري همس الحنين في ذكرياتك، ولا نأى بي عن الموكب الشاعر الناثر الذي أردته علماً لا ينطوي له بلد في عالم الأدب المعاصر.

ولئن يكن الصديق الحبيب هنري زغيب وسيدات "الأرديسية" أتاحوا لنا هذه الفرصة الطيبة، على الرهيف الشفيف مما عودونا عليه، كرماً ونبلاً وسماحاً، فحسبهم - وقد بلغت السابعة والتسعين من عمرك المديد بإذن الله - أتهم أشركونا في إزجاء التحية، ناضرة فاخرة، إلى رجل جليل عاش الحياة باقتدار، عرضاً وطولاً، فكانت له إطلاسته البهية في الشعر والإدارة، وفي الزراعة والتجارة، وفي تأسيس المحافل الأدبية في بعلبك، وفي النضال الوطني ضد الغاصب الغاشم يوم كان النضال الوطني نضالاً وطنياً، ويوم كان الوطن غير مبتلى بعد بمنّ تحملهم عمادة مصالحيهم الآنية العابرة على عدم التمييز بين العدر والصديق، فكان في حله وترحاله، بل في إقامته الفلقة على تراب الوطن، وفي منفاه القلق وراء البحار، أخذاً بناصية الرياح، كأني به يجسد أحمل تجسيدٍ وصف إمام الشعر العربي المُنْتَبِي نفسه: "على قلق كأن الريح تحني أوجحها يميناً أو شمالاً".

ولا ريب عندنا أن احتفاءنا مع "الأرديسية" بصدور كتاب "جودت حيدر: مشوار العمر"، يدعوننا أولاً إلى توجيه الشناء عاطراً لجامع الكتاب د. يوسف بقاعي، ولِمُنْتَحِه د. ميشال حجا، ولِمُقَدِّمِه العميد د. أنيس مسلم، كما يدعوننا ثانياً إلى التشجيع على رصد سيرة المبدعين وتسجيل ثمرات أفعالهم وثمرات أفعالهم تناولت عطاءاتهم الفكرية. بهذا الأسلوب نصون إبداعنا ولا نوازر الأسباب الكثيرة على اندثاره برحيل أصحابه. كما أن احتفاءنا مع "الأرديسية" بِمَكْرُمَةِ فخامة رئيس الجمهورية إميل لحود بمنح المُحتفى به وسام الاستحقاق اللبناني من رتبة ضابط، يحملنا على تقدير مآثر فخامته الذي ما برح يوصي بإحلال أهل العلم والأدب في أكرم منازل العزّة ويحدوننا على تأكيد المطالبة بإقرار "وسام الثقافة" الذي كنا تقدمنا بمشروعه منذ سنوات لكن مصيره لا يزال عندنا موضع تساؤل كبير. وإذا ليس في نبيّ أن أزعم القدرة على الإحاطة بكل إبداعات المُحتفى به، فكتاب "جودت حيدر: مشوار العمر" تكفل بحاجب منها، لكنني أنوّه بمبادرة الأستاذ جودت حيدر (و"واحة الأدب" التي يرأسها) إلى ترميم تمثال خليل مطران وإعادةه إلى مكانه عام ١٩٩٥، وكان نقل رفاته من مصر إلى بعلبك تواكب وصدور كتابنا "خليل مطران شاعر الأقطار العربية" (سلسلة "كتاب الهلال" - القاهرة ١٩٧٤). وحسب خليل مطران الذي آمن بارتقاء الشعر فوق جميع المناصب أنه أتاح لنا أن نردد قوله الذائع:

"أحلي مكاني للذي يسعي إليه بغير حزن!"

ويا أخي الكبير المُحتفى به، في سياق حنينك إلى الوطن، وكنت ركبت موج البحر إلى فرنسا على متن الباعرة "بلفراتو" (مطالع عشرينات القرن الماضي) قلت مودعاً بيروت: "بحراً بعيداً خارج المرفأ مع انبلاج الفجر، نظرت خلفي فإذا بيروت في عيني ومضة تتوهج في قلب الدنيا، لتبقى نجمة السحر مجدداً لا يموت". واليوم ونحن نحتفي بك في بيروت (مطلع القرن الحادي والعشرين) فنجّ بعلبكياً في السابعة والتسعين، نراك ومضة في عيني بيروت، تتوهج في قلب الدنيا لتبقى أنت نجمة السحر والشعر... مجدداً لا يموت.